العلامة الدكتور يعقوب صروف

فجع العلم العربي يوم ٩ تموز سنة ١٩٢٧ بفقد العلامة المحقق الدكتور يعقوب صروف ، احد منشئي مجلة المقتطف وعضو المجمع العلمي العربي . توفاه الله اثر علة تصلب الشرايين ، فاهتزت الاندية العلمية في الشرق الاقرب العربي لوفاته ، وحل الاسى في قلوب اهل العلم والادب عليه .

ولد يوم ١٨ تموز سنة ١٨٥٢ م في قرية حدث بيروت ، ولما ترعرع تلقى مبادئ العلوم في مدرسة سوق الغرب ، ثم انتقل الى مدرسة عبيه الاميركية ونال شهادة بكلوريوس علوم من الكلية الاميركية في بيروت سنة ١٨٧٠ . وبعد ذلك درس سنتين في مدرستي صيدا وطرابلس الاميركيتين وعقبى ذلك دعته الكلية الاميركية الى تعليم البيان العربي والعلوم الطبيعية والكيماوية والرياضية والفلسفية فدرّس فيها احدى عشرة سنة .

وفي خلال التدريس بدا له مع تربه الدكتور فارس نمر ان ينشئ مجلة تبحث في العلوم المادية فاستشارا أستاذهما العلامة الدكتور كرنيليوس فانديك الاميركاني فشجعهما على عملها وسمى مجلتها (المقتطف) وبدأ يؤازر فيها وينظر فيما يترجمان ويؤلفان . صدر المقتطف في اول ايار ١٨٧٦ في مدينة بيروت ، ثم رأيا الانتقال الى القطر المصري وأنشآ في القاهرة سنة ١٨٨٨ جريدة سياسية يومية سمياها «المقطم» لناصر الاحتلال الانكليزي ، وظلا على إصدار المقتطف والمقطم الى اليوم .

انقطع الدكتور صروف — الدكتور لقب ناله في الفلسفة من احدى جامعات اميركا — لانشاء المقتطف ، واختص زميله الدكتور نمر بانشاء المقطم وكان للدكتور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صروف ينظر على الاكثر في المسودة الاخيرة من المقطم ، وكثيراً ما كان يحذف منه أشياء تمس عواطف المصريين . وكان المترجم له ورصيفه الدكتور نمر مثال الشريكين المتماسكين الصدوقين ، فأثريا وارتاشا على صورة لم تسبق لغيرهما من ارباب الأقلام في بلاد العرب .

وما زال المقتطف بفضل منشئه يدأب على السير في الخطة التي رسمت له وجلّ اعتماده في مادته على المصادر الانكليزية والاميركية . ومادته البحث في تقريب العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية والاقتصادية والزراعية من أذهان الجمهور . وقد نجح في هذا المعنى ، وأثر في أفكار قرائه تأثيراً حسناً ، فكان أداة صالحة لنزع غشاوة الجهل المخيم على العقول . وكثير ممن لم يحظهم الحظ بدراسة هذه العلوم على الاصول في المدارس تلقاها من طريق المقتطف فكان مدرسته وأستاذه من غير نكير .

ذلك لان الدكتور صروف كان يتوخى السلاسة في التعبير وقد رزق بياناً لا تكلف فيه ، ورشاقة في الأداء وابلاغ المعنى الى القاريء يفاخر بها ، وقدرة على النقل والاحتذاء قلّ ان داناه فيها احد بموضوعه ، يقرأ المقالة الطويلة لعالم من علماء اميركا او انكلترا فلا يلبث ان يلخصها في صفحات قليلة ، ويزينها بما يشرحها ويحبب الى الناس مطالعتها ، وكان حسن الاختيار فيما ينقل ويحتذي ويؤلف ، وكان التعريب في مجلته اكثر من التأليف ، واكثر التأليف من أقلام مؤازريه في مصر والشام والعراق وغيرها ، ومن قرأ المقتطف وأدمن قراءتها فكأنما يقرأ ملخص آراء العلماء من الانكليز السكسونيين في هذه العلوم . وقد حاول غير واحد من ارباب الأقلام في مصر والشام ان ينسج على منوالها فأخفق لان دراسته الاصلية كانت غير دراسة الدكتور صروف الذي تخرج على يد استاذ حكيم وعلم مبادئ هذه العلوم قبل ان يؤلف فيها ، وسار على سنة البرقي في موضوعاته ، تزيد كل سنة مادته وتزيد معها معارف قرائه .

واذ كانت موضوعاته قد تمس الأديان والتقاليد في الاحايين كان يلزم الحياد على الاكثر فينقل بتصحيح السند والرواية ، ويترك المجال للناس يفكرون فيما يتلون ويتلى عليهم . وكان يتوخى ما أمكن الابتعاد عن مزج القديم بالحديث . ولم يكن ممن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يحسن الظن بمدنية العرب لتشبعه بروح من لم يدرسوها حق دراستها ، ومع هذا نشر لمؤازر به أبحاثاً مهمة فيها بدون تعليق عليها الا في امور لا تحتملها حوصلته و يعتقد خلافها بحسب ما هداه اليه علمه وتلقفه من محيطه وبيئته ، وقد تضطره العاطفة الى ان ينوه بمن لا يستحقون التنو يه فيترجم لهم ، و يغفل ترجمة من لا تروقه سياستهم من العظماء والعلماء من المعاصرين والغابرين . كل هذا وهو من التسامح العلمي على جانب عظيم . فكان في كل حياته الى الاعتدال ، يترك للصلح محلاً كما يقولون .

« ولو ظل المقتطف [1] يقبل المناقشة فيما يكتبه و ينشره لانصرفت وجهته من الكليات الى الجزئيات ، وضاع المقصود من إنشائه ، فقد نصح لها أستاذهما بالعدول عن خطة المماحكات على ما أثبتنا نصيحته في السنة الثامنة فلم يضيعا بعدُ الوقت في الجدال سدى » « ومع ان للمقتطف مشربًا يصعب ان تقبله كل النفوس وأشياعًا يغالون في محبته وإجلال ما يصدر عنه ، نراه الى اليوم يراعي اكثر الاذواق استحساناً . ومن مزج خدمة العلم بخدمة نفسه في الماديات فاتخذ العلم تجارة والتجارة باباً للعلم قد ينجح في الأعم من حالاته . ومن أجل هذا اضطر المقتطف في الربع الاخير من عمره ان يجاري بعض المجلات في نشر الابحاث الأدبية فأجاد في بعض رواياته المترجمة ولم يجد في المختارات الادبية ، فجاء من المقتطف صحيفة عامة تبحث في امور كثيرة يصح ان يقتنيها اهل كل جيل وقبيل ، ولا مسحة عليها من صحف الاختصاصيين من الغربيين ، تلك الصحف التي تنصرف الى علم او عدة علوم لا تتعداها ، فتطيل فيها وتتوسع ما شاءت وشاء غرضها . وللمقتطف عذر في ذلك ما دام اهل الاخصاء في الشرق لا يعيشون من أقلامهم ، وما عم العلم بيننا حتى يخص » . « ومن كان غرضه ارضاء قرائه كافة لا بد ان يسقط ولو قليلاً فيما يدعوه الخاصة لغواً او حشواً . ولعل ذلك هو السبب الذي دعا منشئه ان قال يوماً لاحد كتاب المجلات انك يا هذا تملأ صحيفتك بالدسم فوق اللازم ، فالاشبه بك ان تضمنها ما تتحمض به النفوس ليشتد بها القرم الى العلم » .

---

(١) مجلة المقتبس (ج ١ ص ١٧٢) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا ما قلته في المقتطف الأغر منذ ثنتين وعشرين سنة . وقد رأيناه لاول انشائه — ومنذ سنتين احتفل بعيده الخمسيني — بفتح صدره لأقلام الباحثين والمستفيدين والعلماء والادباء ، حتى كان مباءة لنشر افكار زمرة صالحة من رجال النهضة العربية في نصف قرن من الشاميين والمصريين والعراقيين وغيرهم . ولذلك دعي المقتطف بحق شيخ المجلات العربية ، وقد سار فيه منشئه بروح الزمن فكانت مباحثه علمية بادئ بدء ، ثم اخذ يعنى بالآداب العربية وما يستهوي العامة الى مطالعته ، خصوصاً عندما انبعثت شعلتها من مصر في الخمس والعشرين سنة الاخيرة ونبغ من المصريين علماء وادباء أرقى كعباً ممن تخرجوا في مدارس المرسلين في الشام ومصر .

وللدكتور صروف فضل عظيم في وضع كثير من المصطلحات العلمية والاسماء الفنية نشرها بلسان مقتطفه فتناقلتها الاقلام ودخلت في الكتب العلمية الحديثة المترجمة . وله طريقة في التعريب وضعها في السنين الاخيرة حبذا لو يسير النقلة عليها لانها زبدة تجارب سنين طويلة وهي خير الطرق في التعريب والاحتذاء . وكان أجزل الله ثوابه على جانب من حسن الادب وتجلى فيه أخلاق العلماء العصاميين هضم ما تعلمه فعلمه من أيسر سبيل ، فرزق الحظوة بما كتب وعرب وكثر أحبابه والمعجبون بمضائه من جميع الطبقات والنحل ، وان واحداً وسبعين مجلداً كتبها الدكتور صروف في احدى وخمسين سنة هي في الواقع أهم معلمة عربية في العلوم الطبيعية والمادية والادبية تخلد بين العالمين ذكره ، وتضمه في الصف الاول من الذين حملوا قبس العلم والادب الى عقول العرب ، وكان مثال الدؤوب والصبر المتواصل ، لم يترك القلم من يده الى اباه الاخيرة ، بلذه عمله و يتعشقه ، ومن لا يحب موضوعه و ينشبع به يصعب ان يحمل الناس على حبه ، و يبث في الناس دعوته ، ولذلك عُدَّ فقد هذا الرجل النافع بعلمه وعمله خسارة كبرى على العرب والعربية رحمه الله .

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net